

دير الفاروس

بجانب اللاذقية

من الغرب ، أن هذا الدير لم يذكره الشاشني في كتاب «الديارات» ، ولا البكري في «معجم ما استعجب» ، ولا ياقوت الحموي في «معجم البلدان» !
ودير الفاروس ، من أقدم الديارات في الشرق ، فإن تأسيسه يرقى إلى صدر النصرانية . وأقدم ما انتهى إلينا من أخباره يعود إلى سنة ١٨١ للميلاد ، فقد ذكر الرحالة الانكليزي ولبول (F. Walpole) في رحلته الشرقية ^(١) أنه وقف في مدينة اللاذقية على نسخة خطية من الكتاب المقدس ، مكتوبة بخط ملبح ، ومحافظ عليها أحسن محافظة ، بالرغم من مرّ العصور عليها . ولقد كتب هذه النسخة ثيودوسيوس الأسقف اليوناني سنة ٤٩٢ يونانية (= ١٨١ م) فهي إذاً من مخطوطات المائة الثانية للميلاد . ثم قال : إنه في سنة ١٧٢٧ يونانية (= ١٤١٦ م) وجد الأسقف تقفور (Nicephorus) أن صفحة العنوان من هذه المخطوطة أصبحت لعقتها غير مقروءة ، فأعاد كتابتها طبقاً لما هي عليه في الأصل ، ثم أثبت ختمه فيها دلالة على صدق «التاريخ» الوارد في الصفحة التي أصابها البلى . وهذه النسخة الغائرة العهد ، كتبت لكنيسة «فاروس» وهي كنيسة كانت تُعرف باسم «القديس جرجس» ^(٢) حينما نهبها الترك ، وبات من الصعب اليوم معرفة أخرجتها في خارج المدينة .

ومما ذكره ولبول أيضاً ، أنه وجد هناك نسخة عربية من الكتاب المقدس ، كتبت لكنيسة الفاروس سنة ٧٩٣ يونانية (= ٤٨٢ م) . كما أنه رأى هناك نسخة خطية من

The Ansayrii, and the Assassins, with Travels in the Fur- (١)
-ther East, in 1850-51, including a Visit to Nineveh. (Vol. 3,
London, 1851; pp. 83-86)

(٢) لا يمكن أن تكون هذه الكنيسة ، منذ بدء تأسيسها ، قد سميت باسم [القديس جرجس] لأن هذا مات نحو سنة ٣٠٤ م . في حين أن خبر الخطرنة أعلاه كان في سنة ١٨١ م . وهي إلى ذلك ليست سنة تأسيس الكنيسة كما لا يخفى .

تفسير الكتاب المقدس ، فيها ورقة حوت نبذة تاريخية جزيلة الفائدة ، نقلها الى الانكليزية في كتابه المذكور . ومما ورد فيها أنه لم يبق للنصارى في مدينة اللاذقية ، وذلك سنة ٦٦٢ لهجرة (= ١٢٩٦ م) غير عشر كنائس ، وقد ذكرها بأسمائها ، مع عدد قسوس كل منها في ذلك التاريخ . ومن بين تلك الكنائس العشر ، كنيسة الفاروس (El Farous) قال ان فيها ستة قسوس .

فهذا الخبر الأخير ، يرتقي الى المائة السابعة للهجرة .

وأقدم ما وقفنا عليه في المراجع العربية ، في صفة هذا الدير ، ما ذكره شمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الربوة (المتوفى سنة ٧٢٧ هـ) . قال ما هذا نصه :

« وبها [أي باللاذقية] دير الفاروس ، من أعجب البناء في الديور ، وله يوم في السنة ^(١) تجتمع النصارى اليه ^(٢) » . ١ هـ .

وقد نقل المستشرق لسترنج (Guy le Strange) قول شيخ الربوة في هذا الدير الى الانكليزية ، في كتابه فلسطين في عهد الاسلام ^(٣) .

ومن ذكر هذا الدير ، البلداني المؤرخ أبو الفداء (المتوفى سنة ٧٣٢ هـ) ، في عرض كلامه على اللاذقية فقال إنها « بلدة ذات صهاريج ، وهي على ساحل البحر ، وبها ميناء مفضلة على غيرها . وبها دير مسكون يعرف بالفاروس ، حُسن البناء » ^(٤) . وقد تصحف اسم هذا الدير في « مسالك الأبحار » لابن فضل الله العمري (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) الى دير القاروس ^(٥) ، قال بصدده :

« دير القاروس : على جانب اللاذقية ، من شمالها ، وهو في أرض مستوية ، وبنائه مربع ، وهو حسن البقعة . وفيه بقول ابو علي حسن بن علي الغزي :

(١) كانت كنيسة هذا الدير في عهد شيخ الربوة ، تعرف بكنيسة القديس جرجس . ولهذا القديس عيد يقع في ٢٣ نيسان من كل سنة . وعندنا أن اليوم الذي تجتمع النصارى اليه ، هو يوم عيد .
(٢) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (ص ٢٠٩ طبعة . هرن (Mehren) في بطرسبرج ، سنة ١٨٦٥ . (٣) . (٤) .
(٥) تويم البلدان (ص ٢٥٧ طبعة رينو Reinaud ودي سلان De Slane في باريس ، سنة ١٨٤٠) . (٥) بالناف . والرواب انه بالفاء على ما يجي بنا .

لم أنس في القاروس يوماً أيضاً مثل الجبين يزينه فرعُ الدُّجى
 في ظل هيكله المشيد وقد بدا للعين معقود السكينة أبلجا
 واللاذقية دونه في شاطئ بلوره قد زين الفيروزجا
 ولديّ من رهبانه متمسّ أنصحي لفرط جماله متبرجا
 أحوى أغنّ إذا تردد صوته في مسمع رد احتجاج ذوي الحجى
 لا شيء أطف من شمائله إذا حثّ الشمول ولفظه قد لجلجا
 فله . ولليوم الذي قضيته معه بكائي لا لربيع قد شجا^(١) انتهى
 ولكنّ للناشر المغفور له احمد زكي باشا، تعليقا على هذا الدير لا يستقيم
 والحقيقة . فقد قال في الحاشية أسفل تلك الصفحة : « أنظر فتوح البلدان للبلاذري .
 ص ٣٥٧ » . وهذه الحاشية توهم أنّ دير القاروس قد ذكره البلاذري (المتوفى
 سنة ٢٧٩ هـ) . ولكن عند الرجوع الى الصفحة المذكورة من كتاب البلاذري ،
 وجدنا عجبا ، واليك قوله بالحرف الواحد :

« وحدّثني الأثرم عن أبي عبيدة قال : قاد ابو موسى الأشعري نهر الأبلّة
 من موضع الدّجّانة الى البصرة ، وكان شرب الناس قبل ذلك من مكان يقال
 له (دير قاروس) ، فوّته في دجلة فوق الأبلّة بأربعة فراسخ^(٢) »
 فما أعظم الفرق بين المواطنين ، وشتان ما بين الأبلّة واللاذقية ونظنّ ان الذي
 دفع زكيّا باشا الى هذا الهم ، هو انه في مراجعته « فتوح البلدان » ، اكتفى
 بتدوين اسماء الديارات الواردة في « فهرست الأمكنة » المثبت بآخر الكتاب ،
 ليشير اليها في تعليقاته على « مسالك الأَبصار » دون الرجوع الى المتن والتثبت من
 صحة انطباقه على ما يريد .

وقد نقل الأستاذ محمد كرد علي بك ، من مسالك الأَبصار ماورد بصدد هذا
 الدير^(٣) ، في كتابه الموسوم « خطط الشام » فورد هناك — تبعاً للأصل المنقول
 عنه — « دير القاروس » بالقاف .

(١) مسالك الأَبصار (١ : ٣٣٩ بتحقيق أحمد زكي باشا) . (٢) فتوح البلدان للبلاذري
 (ص ٣٥٧ طبعة دي فويه) . (٣) خطط الشام (٦ : ٣٢ — ٣٥) .

ومن وصف هذا الدير أيضاً الرحالة اندائغ الصيت ابن بطوطة (المتوفى سنة ٧٧٧ هـ) قال في رحلته : « وبخارج اللاذقية الدير المعروف بدير الفاروس ، وهو أعظم دير بالشام ومصر ، يسكنه الرهبان ، ويقصده النصارى من الآفاق . وكلُّ من نزل به من المسلمين فالنصارى يضيفونه . وطعامهم الخبز والحب والزيتون والخل والكبر^(١) . » إنَّ ما ذكره ابن بطوطة في هذا الوصف ، نقله لسترنج الى الانكليزية في كتابه المشار اليه في أوائل بحثنا (ص ٤٩٢) وكذلك فعل الأستاذ حبيب زيات ، ولكنه سماه « دير القاروص » بالثقاف ، وآخرد صاد مهملته^(٢) .

ويقول العلامة الآثاري دوسو (René Dussaud) في كتاب جليل له^(٣) ، إن بقايا هذا الدير (Deir el - Farous) يمكن ان يبيحث عنها في أخربة « تل فاروس » (Tell Farous) الواقع بين اللاذقية وقربة بساذا ، وتبعد إحداهما عن الأخرى ميلين ونصف الميل . وقد أثبت دوسو موقع هذا التل في خريطته التاسعة الملحقة بكتابه المذكور .

وقد ذكر دوسو في الحاشية ٣ من الصفحة ذاتها : ان كلمة فاروس (Farous) وردت بلفظ فاقوس (Favous) في : . Revue Or. Lat . , IX p. 38, note 4 . اما لفظ « فاروس » فكلمة دخيلة ، لم نثر على تفسير لها في المعاجم العربية المختلفة التي بين يدينا ، فهي مما يُستدرك عليها . بل لقد أغفل ذكرها كل من دوزي (Dozy) في « تكملة المعاجم العربية » ، وفنيان (Fagnan) في معجمه « زيادات على المعاجم العربية » .

وقد وقفنا في كتاب « العنوان » ، وهو تاريخ عام ، لأغايوس [محبوب] بن قسطنطين النيجي ، (من أهل المائة العاشرة للميلاد) على ما يلي : « فاروس الاسكندرية : وهو البرج والمنظرة الذي في داخل البحر »^(٤) . فهل عُرف دير الفاروس بهذا

(١) تحفة النظار (١ : ١٨٢ - ١٨٣ طبع باريس) . (٢) الدبارات الصراية في الاسلام (ص ٥٩ - ٦٠) . (٣) Topographie Historique de la Syrie Antiqu (ص ١٢ طبعة . (٤) كتاب العنوان (ص ١٢ طبعة . (Paris , 1927 ; p. 415) et Mediévale (Paris , 1927 ; p. 415) . فازيليف Vasiliev . في البارولوجية الشرقية لفرانس ونو . باريس ١٩٠٨) .

الاسم لوجود برج او منظرة فيه ؟ ذلك بعد ان مرّ بنا انه كان بجانب اللاذقية ،
وان اللاذقية كانت من أشهر الموانئ على البحر المتوسط ؟
أما اصل لفظة «فاروس» فمأخوذة من اسم جزيرة فاروس (Pharos) ، وهي
جزيرة صغيرة في ميناء الاسكندرية ، أقام فيها بطليموس فيلادلفس وهو الثاني من
بطالسة مصر (٢٨٥ - ٢٤٧ ق م) مناراً شهيراً .
وفي معجم ويستر الكبير ، ان لفظة فاروس مأخوذة من اللاتينية واليونانية ،
بمعنى الفئار أو المنار^(١) .

* * *

يؤخذ من ذلك كله ، ان اسم هذا الدير ورد في المراجع التاريخية والبلدانية
بأوضاع مختلفة ، وهي : دير الفاروس ، ودير الفاروص ، ودير القاروس ، ودير القاروص ،
ودير الفاثوص . وعندنا ان التسمية الأولى هي الصحيحة التي يجب ان يؤخذ بها .
أما إلى أية فرقة نصرانية كان يُنسب هذا الدير ، وامن مؤسسه ، وفي أي
سنة كان ذلك ، وما يجمل أخباره ، ومتى تمّ خرابه ؟ فلم نقف على شيء منها فيما
بين يدينا من مراجع .

كوركبس عواد

(بغداد)

Webster's New International Dictionary of the English (١)
Language (2nd ed . . London , 1934 ; p . 1837 , col . 3) .